إنه كتاب الحياة المفعمة بالحركة المتجددة على الدهر ولكنها الحياة القائمة على الحق المطلق، الدارجة على الصراط المستقيم.

وقد تنوعت فصول هذا الكتاب، ونمضى نقلب صفحاته لنلتقى بقضايا متنوعة متعددة، أول هذه الفصول فصل بعنوان: هذا القرآن، وفيه يمضى المؤلف الشيخ محمد الغزالى مع قضايا القرآن الكريم أولها سؤال: كيف نزل ولماذا خلد هذا القرآن الكريم؟.

يقول: «لو أن القرآن نزل دفعة واحدة لأمكن لدارسه أن يفصل بين معانيه وبين الملابسات العديدة المتشعبة التى أحاطت بها، أو لحار فى وضع كل حكم بإزاء الحالة الدقيقة التى تناسبه، إنما جاء القرآن نزل مفرَّقا على بضع وعشرين سنة حفلت بالأحداث الجسام، وتتابعت عليها أطوار شتى، وكان نزوله على هذا النحو يمت بأوثق الصلات لتغاير الحوادث وتجدد الأطوار، لذلك لابد فى فقه القرآن من فقه الحياة نفسها التى أحاطت ببداية أمره ونهايته، ولابد من استيعاب التاريخ المفصل لهذه الفترة الخطيرة «وهذه نقطة جديرة بالاهتمام حقا». أما خلود القرآن فيجيب عنه المؤلف بقوله:

«وخلود القرآن يرجع إلى جملة الحقائق التى احتواها، إن هناك معارف يلحقها الخطأ والصواب فطروء التغير عليها مفهوم، أما ما ثبتت صحته فإن مرَّ الأيام لا ينال منه شيئا. إذا ثبت أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان أو أن الخطين المتوازيين لا يلتقيان فإن هذا الثبوت لا يتفاوت على اختلاف الليل والنهار، وهو بعد عشرة قرون مثله مثل قبل عشرة قرون»، ذلك أنه حقيقة إلهية وليس حقيقة بشرية، وفرق بين العلم الإلهى والعلم البشرى.

ثم يقول: «إن القرآن الكريم خلد على الزمان لأن كل كلمة فيه تنزهت عن هذه العلل ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ٢).

وقيام معانيه على الحق كقيام الشعاع على النور، والحق لا يزول ولا يحول وذلك سر خلود القرآن الكريم.

وفى صدد إجابته عن السؤال المطروح: كيف نزل القرآن ولماذا خلد! يتحدث عن ثبوت القرآن، وكيف تم جمعه؟. ثم ينتقل إلى نماذج وصور هى: الإنسان فى